واختلف كتاب العربية كثيراً في كتابة هذه الارقام ففي قانون ابن سينا المطبوع برومية سنة ١٥٩٣ للميلاد جعل رقم الاربعة مثل ٤ ورقم الخمسة مثل حرف الباء الافرنجية المقلوبة هكذا ٥ وكذا رسمت الارقام في كتاب الاصول لاقليدس المطبوع سنة ٩٩٦ للهجرة اي سنة ١٥٨٧ للميلاد ما عدا رقم الخمسة فانهُ جعل دائرة

غرائب العادات

للناس مذاهب شتّى واساليب مختلفة في كل ما يفعلون سواء في ذلك متمدنوهم ومتوحشوهم اما اساليب المتمدنين وعاداتهم في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم وزياراتهم وولائمهم ورسومهم في الولادة والزواج والموت والدفن وشعائرهم الدينية فتكاد تكون معروفة عندنا كلها لاننا نجري عليها او نرى الذين يجرون عليها واما اساليب المتوحشين واهالي البلدان القاصية الذين تخالف عاداتهم عاداتنا في معرفتها فكاهة عقلية ومواضيع للنظر والاعتبار . وقد وقفنا الآن على فصول في هذه المواضيع لاناس من الثقات الذين جابوا البلدان القاصية ووقفوا على عادات اهلها ورسومهم الدينية والاجتماعية فرأينا ان نقتطف منها ما تلذُّ معرفتهُ

والغالب ان الناس يندفعون الى اتّباع امر من الامور بحكم الضرورة التي يدعوهم اليها اقليمهم او احوالهم المعاشية فيصير عادةً لهم يصعب تركها مثال ذلك ان سكان صحراء افريقية المعروفين بالتوارك يتلثمون دواماً و يستحيي الرجل منهم نزع اللثام عن وجهه ولعلهم استعملوا اللثام اولاً ليقيهم من وهج الشمس وعصف الرمال الحارَّة فصار استعمالهُ عادة يشق عليهم الخروج عنها و يعاب على الرجل منهم كشف وجههِ كما يعاب عليهِ كشف عورتهِ

ولقد كان للرسوم الدينية المختلفة اليد الطولى في تكثير العادات وتنويعها حتى صارت حياة المتوحشين سلسلة من العادات متصلة الحلق فلا يكادون يفعلون شيئاً الاَّ عظَّموهُ بمعبوداتهم او بالارواح التي يتوهمون وجودها حولهم وتسلطها عليهم فتقتصر الوحوش في غينيا يزرعون انواعاً مختلفة من النباتات معتقدين ان كل نبات منها يقدرهم على نوع مخصوص من الصيد . وصائدو السمك من الامازون يصنعون تمثال سمكة يضعونهُ في مقدم زورق الصيد حاسبين انهُ يعينهم على صيد السمك فاذا صادوا سمكاً كثيراً اكرموا هذا التمثال وحفظوهُ الى نوبة اخرى والاَّ طرحوهُ وصنعوا تمثالاً غيرهُ

واذا كان القحط ينتاب البلاد و يعزُّ القوت فيها كما في استراليا فهناك تكثر السحائر

الدينية لتكثير الطعام وقد انقسم سكان استراليا الاصلية الى قبائل وبطون وافخاذ ولكل فريق منهم حيوان يكرمونهُ وينتسبون اليهِ ويتوقعون منهُ ان يساعدهم على تكثير طعامهم فالامر وهو طائر كبير يشبه النعام لهُ فريق ينسب اليهِ ويعتمد عليهِ فيحميهِ ويمنع اكلهُ وصيدهُ وكل اهل هذا الفريق يعدون انفسهم اخوة واخوات وقد لا يكون بينهم نسب الا انتسابهم الى هذا الطائر وقد يكون في القبيلة الواحدة اناس ينتسبون الى طائر الامو واناس ينتسبون الى حيوان الايمو واناس ينتسبون الى القنفر فهم كاهل المذاهب الدينية واهل كل مذهب متحاوون متصالون يضيف بعضهم بعضاً على تمام الولاء ولو كانوا من قبائل مختلفة ولكل مذهب حرَم تقام فيهِ شعائرهُ الدينية لكي يجزل الخير لاهلهِ

ومن المذاهب الشائعة عندهم مذهب المطر . واهلهُ يستمطرون اذا احتبس الغيث عنهم باصوات تشبه صوت طائر القطقاط لان هذا الطائر يأتيهم قبل المطر فحسبوا ان صوتهُ هو السبب والمطر هو المسبب فهم اعقل من الذين كانوا يستمطرون بالبقر المسلمة وفيهم يقول الشاعر

لا درَّ درُّ اناس خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشرِ
اجاعل انت بيقوراً مسلَّمة وميلة لك بين الله والمطرِ

وذلك ان العرب كانوا اذا اجدبت ارضهم من قلة المطر يأخذون اغصاناً من شجر السلع ومن شجر العُشَر ويعلقونها بثيران الوحش ويضرمون النار فيها ويهبطون بها في الجبال يعتقدون ان ذلك يستنزل المطر لان الله يشفق عليها فينزل المطر لكي يطفئ النار

ولشدَّة الحاجة الى المطر وتوقف ظهور النبات والاثمار عليهِ توهم لهُ الناس آلهة كثيرة تتولى امرهُ وانواعاً مختلفة من العوذ والرقى والشعائر والرسوم يستنزل بها . وهي تزيد حيث يشتدُّ القيظ ويقلُّ وقوع المطر حتى تكاد اعمال الناس تقتصر على وسائل الاستمطار . ولا تزال بعض اساليب الاستمطار شائعة حيث خلع الناس اعمال الهمجية كاهل الشرب فانهم اذا اشتدَّ القيظ عندهم عرَّوا فتاةً واليسوها الازهار والبقول حتى يتغطى بها جسمها كلهُ وطاف بها اترابها في القرى ووقفن امام ابواب البيوت وهي ترقص وهنَّ في حلقة حولها يغنين وكلما وقفنَ امام باب خرجت ربة البيت اليهنَّ وسكبت دلو ماء على الفتاة

لكن الشعائر والرسوم التي تتبع احوال الاقليم لا تُعدُّ شيئاً مذكوراً في جنب ما يُطلب من المرء عملهُ في تلك البلدان حتى كأنهُ عبد لما تقضي بهِ عادات قبيلهِ ولا همَّ لهُ الا القيام بها فاهالي غينيا يعتقدون انهُ اذا اكل رجل منهم البكا (وهو حيوان صغير مرقط) وامرأتهُ حامل ولدت ولداً بارز الفم كالبكا او مرقط الجلد مثلهُ . ويقول دياك بورنيو انهُ اذا عمل

الوالد بآلة حادة او ضرب حيواناً او اطلق بندقيةً وامرأتهُ حامل اضرَّ بجنينها . والنساء الحوامل في جزيرة سري يأكلن نوعاً من الخمار لانهُ يثرحينا يشوى زعماً منهنَّ ان اطفالهنَّ يأتون جهوري الاصوات واسعي الصدور قادرين على الغناء

وما دام ابناء المتوحشين صغاراً لا يطلب منهم الاَّ ان يلعبوا ويتمرنوا على الصيد والقنص ونحو ذلك من الاعمال التي تعلم الرماية وتقوي العضل وتحدد البصر . ولكن الصبي لا يصير رجلاً عندهم ولو بلغ مبلغ الرجال مالم يقبلهُ الرجال بينهم . ولهم في دخول غلمانهم مصاف الرجال رسوم كثيرة شاقة تعلي قيمة الرجل في اعينهم . منها ما يرمز بهِ الى موت الفتى وبعثهِ كأنهُ ولادة ثانية ومنها ما تظهر فيهِ المهارة والتفوق على الغير واجتراح ما يعدُّ من قبيل الخوارق مثل رمي قدة من الخشب يحتال في رميها حتى تصوت وهي ذاهبة في الجو صوتاً رهيباً يتزعج لهُ السامعون وتهلع قلوبهم . وهذا شائع في استراليا وغينيا الجديدة وجزائر سليمان وبرازيل وغرب افريقية وجنوبها . وقد كان اليونان يفعلون مثل ذلك حينما يدخلون شبانهم في مصاف رجالهم فانهم كانوا يأمرون الشاب ان يرقص عارياً ويرمي القدة حتى تصوت وظلوا يفعلون ذلك بعد ان رسخت في الحضارة قدمهم دلالة على ان عاداتهم في ازمان همجيتهم كانت مثل عادات الاستراليين الآن

وصوت القدة المرماة مثل صوت العاصفة ولذلك يستعملها بعض المتوحشين في جنوب افريقية وبعض الهنود في اميركا الشمالية للاستمطار

وحينما يدخل الشاب في زمرة الرجال يُعلَّم الآداب والفضائل كالصمت والحشمة والوقار والطاعة والكرم والاجتهاد واحترام الوالدين والاقارب والصدق والنجدة والمروَّة والرزانة والعفة والشجاعة والشراسة والصبر على الضيم وتجشم المشاق وينهى عن السرقة والعارية والثرثرة والنميمة وافشاء السر والفحش في القول والهرب من القيام بالواجب والتزوج بمن لا يليق التزوج بهنَّ . ويحضُّ على القيام بما يطلب منهُ لقبيلتهِ والمعاداة لاعدائها . ويقال ان اخلاق اهالي خليج بابوان تكيفت بسنَّة الطبيعة حتى صار همهم الاول وغرضهم الذي يرمون اليهِ مصلحة مجموعهم

فكأن رسوم ادخال الشبان في مصاف الرجال اكبر ذريعة لتهذيب اخلاقهم وانكارهم انفسهم وجعلهم اعضاء عاملة في جسم القبيلة ومع ذلك لم تكفِ هذه الرسوم لترقية الامم المتبربرة لما يعتور عمرانها من العادات الهمجية ولما هو متسلط عليها من الاوهام الخرافية . ترى في الصورة المقابلة امرأة من نساء الماسي وقد ملأت زنديها ومعصميها بالدماليج

والاساور وعنقها وصدرها بالعقود والقلائد وعلقت الضفائر باذنيها ونتفت شعر حاجبيها ورموش عينيها قصد التجمل والتحلي والى جانبها صورة رجل من اهالي جزائر سليمان وقد شق شحمتي اذنيهِ وعلّق بهما اثقالاً حتى تدلتا على كتفيهِ ووضع خزامة كبيرة في انفهِ وهو يحسب انهُ امتاز بذلك على اقرانهِ

ولكل ما اعتادهُ المتوحشون من العادات معانٍ مرتبطة بمعيشتهم واحوالهم الاجتماعية فلا يستخف بها مهما كانت غريبة وقد يكون عندنا ما هو مثلها او اغرب منها وابعد عن مقتضى الطبع ولا ضرر منها الاَّ اذا قيَّدت العقل فمنعتهُ من البحث عن اسرار الطبيعة والاستفادة من قواها والتغلُّب على مشاقها وحوَّطتهُ بالاوهام حتى ثلَّت يديهِ عن السعي وحملتهُ على استرضاء معبوداتهِ بما لا فائدة لهُ بهِ ولا يجني منهُ غير انشغال البال وابطال السعي . وبعبارة اصرح ان اديان المتوحشين حرمتهم من الحضارة وكهانهم منعوهم من الارتقاء وسيأتي تفصيل ذلك في الاجزاء التالية

قوام الصحة النور والحركة

(تابع ما قبلهُ)

ان الاعمال التي يعمل بها اكثر الناس في البلدان المتمدنة في هذا العصر يجري اكثرها على نسق واحد دائماً ويدعو الى الاقامة في مكان واحد ساعات متوالية يوماً بعد يوم . واذا كان العمل في معمل محجوبة عنهُ اشعة الشمس ذوى العمَّال وزالت نضارتهم لاسيما وان كل واحد منهم يعمل العمل الواحد يوماً فيوماً فيفقد كل رغبة فيهِ لانهُ لا يقتضي فتق حيلتهِ واعمال فكرتهِ . وزد على ذلك انهُ لا يرى حولهُ ما يستوقف نظرهُ ويدعوهُ الى التأمل فيشغل فكرهُ بالالتفات الى نفسهِ ويصرف همهُ الى اعضائهِ الباطنة وكيفية حركاتها

وما يصدق على العمال في المعامل يصدق على بنات الاغنياء فانهنَّ عفن العمل والجهاد وعشن عيشة الكسل والخمول وأقتصرنَ على الملاهي والمراقص ونسين ناموس الطبيعة وهو انهُ يُطلب من كل احد ان يسعى ويكدح لاجل معيشتهِ او يسعى لهُ غيرهُ والاَّ مات جوعاً

والناس في هذا العصر مثل عشرة القاهم القدر على جزيرة موحشة فاخذ خمسة منهم يسعون لاجل لوازم الحياة يصطادون الحيوانات طعاماً ويصنعون من جلودها ثياباً ويبنون الاكواخ مساكن . واخذ الخمسة الباقون ينظمون الودع عقوداً ويلعبون بالكعاب قماراً